جدل الفكر والواقع

"قراءة جديدة فى فلسفة هيجل"

أ. د. سامية عبد الرحمن

أستاذ الفلسفة المعاصرة وفلسفة القيم

قسم الفلسفة – كلية البنات - جامعة عين شمس.

لو تساءلنا عن أهم المصطلحات الفلسفية الهيجلية– مصطلح الجدل – لقلنا إن هذا المصطلح من أكثرها غموضاً وشيوعاً فى تاريخ الفلسفة، فهو يظهر مع الفلسفة فى بلاد اليونان – قبل سقراط وبعده، ويستمر استخدامه فى العصر الوسيط والحديث معاً، ويتخذ أهمية خاصة فى الفلسفة المعاصرة بفضل الفلسفة الوجودية والماركسية.

ما الجدل؟ هذا التساؤل إجابته مستحيلة دون دراسة للتاريخ الطويل الذى مرت به هذه الكلمة من أفلاطون حتى يومنا هذا[١].

فقد استخدمت الكلمة لتصف ألواناً شتى من الأنشطة والتصورات والمواقف تختلف فيما بينها أتم الاختلاف، فهناك مثالية جدلية، وتاريخ جدلى، ومنطق جدلى، وحرية جدلية، وضرورة جدلية، ومادية جدلية ..... إلخ.

المنهج الجدلى – الجدل – كمنهج:

الجدل الهيجلى ببساطة هو علم الحركة فى الواقع الخارجى والنفس الإنسانية.

يعرف هيجل الجدل بأنه "مبدأ كل حياة وكل حركة وكل ما يتم فى عالم الواقع، بل إنه أيضاً روح كل معرفة تكون حقاً علمية".

"الجدل عند هيجل ليس حياة الفكر، بل هو يمثل حياة الطبيعة والمادة فى كل درجات تعقدها.

– قد يظن البعض أن المنهج الجدلى عند هيجل هو مجرد دراسة للمقولات العقلية الخالصة، وهذا ليس صحيحاً، إن المنطق وإن كان يمثل الخطوة الأولى والأساسية فى الفلسفة الهيجلية، فإنه لابد أن ينتقل إلى فلسفة الطبيعة، لأن مقولاته إن ظلت معزولة وحدها، كانت مجرد تجريد أجوف لا يعبر عن الواقع العينى الحى[٢] – المنهج – على حد قول هيجل– ليس شكلاً خارجياً، بل هو روح وفحوى notion .

وعلى هذا ليس الجدل الهيجلى أشكالاً فكرية يتجمد فيها الواقع، بل إنه يعنى إثراء الواقع والكشف عن الطبيعة الداخلية للروح والعالم.

إذن الجدل عند هيجل ليس المنطق وحده، ليس هو التلخيص بأنه رحلة ثلاثية المراحل: الأطروحة أو القضية Thesis، ونقيضها Antithesis ، والمركب منهما synthesis – الجدل ليس على هذا النحو، ولا يقتصر على المنطق فقط. بل نجده فى فلسفة الطبيعة، وفلسفة التاريخ، والدين، والجمال، والقانون... فى كل هذه المجالات له

طبيعته الخاصة. وعلى هذا كى نفهم الجدل الهيجلى علينا أن نستكشفه فى المؤلفات الهيجلية جميعاً "علم تجلى الروح"، و"علم المنطق" موسوعة العلوم الفلسفية"، و"الكتابات اللاهوتية المبكرة"، وفلسفة الفن الجميل"، وفلسفة الحق، و"محاضرات حول تاريخ الفلسفة ..... فالجدل هنا هو البؤرة المحورية التى يشيع منها المذهب كله...

فلنقف الآن على مصادر الجدل الهيجلى(٣):

هناك عوامل كثيرة كان لها أثرها الكبير فى فكر هيجل الجدلى.. ومن أهمها: اللاهوت، والفلسفة، وتيار العصر.

– **اللاهوت:** نرى هيجل فى مرحلة الشباب يلتمس فى الدين حلاً للمشكلة التى شغلت ذهنه منذ حداثة سنة: "التوفيق بين الأضداد"، والتى كتبها فى مجموعة مقالات جمعت فى كتاب بعنوان "الكتابات اللاهوتية المبكرة"، ويرى فيها أن الدين وحده – لا الفلسفة – هو القادر على كشف الوحدة الكامنة وراء الأضداد(*).

الفلسفة:

الفلسفة عند هيجل كل متصل تدفعه ضرورة داخلية: "فكل فلسفة كانت ولا تزال ضرورية، وبالتالى فليس فيها ما اختفى وزال، وإنما تجدها عناصر إيجابية فى كل واحد .. وآخر فلسفة هى نتيجة لجميع الفلسفات السابقة(٤).

يقول هيجل فى "ظاهريات الروح" إن تعدد المذاهب الفلسفية على مر التاريخ ليس إلا مجرد تعبير عن الترقى التدريجى، أو التطور المستمر للحقيقة.

ومعنى هذه العبارة عميق للغاية، وهى أن الحقيقة الكلية لا يستطيع أحد الوصول إليها بمفرده، بل بتعدد الآراء، واختلاف الرؤى، وأن الخطأ هو بداية لصواب ما.

والفلسفة فى نظر هيجل هى معرفة هذه الحقيقة الواحدة، والتى هى النبع المباشر الذى يصدر عنه كل شئ آخر. ولكن هذه الحقيقة ليست ثابتة، ولكنها تنمو وتتطور تدريجيا على مر العصور. ولعل هذا هو السبب فى أن هيجل اعتبر المذاهب السابقة كلها جوانب أساسية فى مذهبه، بدءاً من المذاهب اليونانية القديمة (هيراقليطس – زينون – سقراط – أفلاطون – أرسطو)، وانتهاءً بفلسفة اسبينوزا، كانط ، فشته، شلنج....." يزعم هيجل – كما يقول ولتر ستيس – أن فلسفته اشتملت، واستوعبت، واحتفظت بجوهر جميع الفلسفات السابقة".

(*) سنعود إلى تفصيل هذا فى الجزء الخاص بجدل وفلسفة الدين.

إذن مفهوم "الكل" أو "الحقيقة الشاملة" فى مقدمة المفاهيم التى قام عليها تصور هيجل للجدل، كما عبر عنها فى كتابه "فينومينولوجيا الروح.

قصة العميان والفيل[٥]:

خلاصة هذه القصة أن المذاهب الفلسفية على اختلافها، وعلى ما يبدو أنها تناقض بعضها بعضا.. هى ليست كذلك، والسبب فى النظر إليها بهذه الصورة أن كل واحد ينظر إلى هذا المذهب أو ذاك بمعزل عن المذاهب الأخرى، أو يدرك الحقيقة فى جانب واحد فقط.

إذن المذاهب الفلسفية على اختلافها– فيما يرى هيجل – إنما هى تعبير عن عقل واحد حى من طبيعته أن يفكر– .. هى فلسفة واحدة فى مراحل مختلفة من النضج[٦].

فإذا كانت فلسفة هيجل "ثمرة" لتاريخ الفلسفة، فهى تجمل فى جوفها مبادئ الفلسفات السابقة كلها.

الفكر اليونانى:

أعجب هيجل بحياة اليونان وفلسفتهم وآدابهم وعقائدهم إعجاباً كبيراً. يقول: "إن اسم اليونان يثير النشوة فى قلوب المثقفين من أهل أوروبا، ولاسيما فى قلوبنا نحن الألمان"[٧].

أما عن منهجه الجدلى، فقد كان يعتبره امتداداً وتطويراً للجدل القديم، بل إن كلمة "الجدل" Dialcktik نفسها مشتقة من الكلمة اليونانية التى تعنى الحوار أو المناقشة.

- الفكر يبدأ بقضية موجبة تعارضها فى الحال نقيضها، ثم تظهر فكرة أوسع تجمع بينهما فى مركب واحد، غير أن هذا المركب يثير بدوره نقيضاً جديداً، وتتكرر العملية ذاتها من جديد.
- تأثر هيجل فى فلسفته الجدلية بالفكر اليونانى، ورأى أن أهم ما يميز زينون الإيلى هو الجدل الذى بدأ به، وممارسته للطريقة الجدلية، والفكرة التى تقول إن كل "سلب تعين"، وهى فكرة على جانب كبير من الأهمية فى جدل هيجل، حيث لو جمعنا بينها وبين الفكرة التى سيذهب إليها (اسبينوزا) فيما بعد، وهى أن "كل تعين سلب". لكان لدينا سمة أساسية للمنهج الجدلى.
- إضافة إلى ذلك فكرة العدم، والتى قام بها بارميندس، فهو لا يوجد قط، والوجود وحده هو الحقيقى.

- **الفكرة الثالثة:** هى الحركة : وسبب ذلك أن الجدل نفسه هو حركة، فالشئ لا يتحرك إلا لأنه يحوى جدله فى جوفه. فالحركة هى الصيرورة، وهذا ما أكده هيراقليطس وتأثر به هيجل:
- يعترف هيجل صراحة بتأثر فلسفة هيراقليطس فيقول: "ليس فى أقوال هيراقليطس عبارة لا أستطيع أن أدخلها فى صميم منطقى".
- أخذ هيجل عن هيراقليطس فكرة صراع الأضداد ثم ائتلافها (وحدة الأضداد)، كما أخذ عنه فكرة الصيرورة. وهذا ما دعا "ول ديورانت" إلى القول بأن هيراقليطس هو هيجل اليونان"[٨]. جعل هيجل الديالكتيك على غرار هيراقليطس، فهو عملية توافق الأضداد فى الفكر والأشياء على السواء.
- **جورجياس:** اعجب هيجل بفكر جورجياس، لأنه درس الجدل كما هو موجود فى الفكر الخالص، أى أنه درس المقولات الخالصة، ثم بين أنها إذا درست فى نقائها الخالص تؤدى إلى السلب، فالوجود يصل بنا إلى العدم، والواحد ينتقل إلى الكثير.
- أما سقراط فقد أخذ عنه هيجل منهجه: "اعرف نفسكا" هذا الشعار السقراطى اعتبره هيجل تقدماً ضخماً للفلسفة.
- ثم جاء أفلاطون فجعل من "الديالكتيك" منهجاً فلسفياً مشروعاً يقوم على الحوار السقراطى، ويفضى بالتدرج فى سلم الحقائق حتى الحقيقة المطلقة.
- ذهب "ميور" إلى القول بأن "الجدل الهيجلى مدين لأفلاطون بأكثر مما هو مدين لأرسطو"[٩].

ومن الأفكار الهامة التى أثرت فى فكر هيجل الجدلى:

١) فكرة اهتمام أفلاطون بالكليات، واعتباره الكلى أو الفكر هو الأساس الحقيقى وراء هذا العالم.

٢) التفرقة بين المعارف الحسية والمعارف العقلية، ثم تقسيمه للعقل، الفهم، العقل الخالص.

٣) جمع أفلاطون فى فلسفته العناصر الأساسية فى الفلسفات السابقة، وتلك خطوة يعتبرها هيجل مصداقاً على فكرته فى أن المذاهب اللاحقة تشمل فى جوفها المذاهب السابقة .

أرسطو: على الرغم من أن "جان فال" يرى أن أرسطو كان من خصوم الجدل، فإننا نجد هيجل يستخلص من جوف فلسفته أفكاراً بالغة الأهمية لمنهجه الجدلى: من أهمها فكرة المادة والصورة، والقوة والفعل التى يقول عنها هيجل: إن أروع ما عند أرسطو هو توحيده بين القوة والفعل". وقد ظهرت هذه الفكرة من جديد فى جدل هيجل تحت اسم الضمنى والصريح أو ما هو في ذاته ولذاته.

وأخيراً فكرة المطلق أو الله الذى يعتبره أرسطو صورة خالصة لا أثر فيها للمادة. فهو فكر الفكر، أو صورة الصورة، وبهذا المعنى فالله هو الوعى الذاتى، والمطلق عند هيجل هو أيضاً الوعى الذاتى أو فكر الفكر عند أرسطو.

– كان فلاسفة اليونان بوجه عام يعتقدون أن فى تصادم الأفكار المتعارضة، والآراء المتناقضة ما قد يساعد على وضوح الحقيقة. ومن هنا فقد احتلت فكرة "التناقض" أهمية كبرى فى الجدل الهيجلى، على اعتبار أن الفكر البشرى فى حالة حركة مستمرة، وأن الصراع بين الأفكار هو السبيل الوحيد إلى الكشف عن الحقيقة.

الفلسفة الحديثة:

تعتبر الفلسفة الحديثة المصدر المباشر الذى استقى منه هيجل الكثير من أفكاره ... وهناك أربعة فلاسفة كان لهم أثر مباشر فى الجدل الهيجلى: اسبينوزا، وكانط، وفشتة، وشلنج.

(١) **اسبينوزا** : أخذ هيجل عنه مبدأ "كل تعين سلب"، واعترف هيجل بأن اسبينوزا أول من صاغها فى مبدأ واضح. وهى فكرة بالغة الأهمية، فتعين الشئ معناه وضع حد له، ومعنى ذلك أننا نفصله عن الأشياء الأخرى، فإذا قلنا إن هذا الشئ أحمر، كان معنى ذلك أننا نعزله عن دائرة الألوان الأخرى، أى أننا نسلب عنه هذه الألوان، وإذا قلنا إن هذا "خير" معناه فصله عن دائرة الشر .... وهكذا فالإثبات يتضمن النفى.

(٢) **كانط:** كان "لكانط" أثر كبير فى فلسفة هيجل منذ بدايتها المبكرة، فقد وقع هيجل تحت تأثير كانط، فكتب رسالته الشسهيرة "حياة المسيح" وشرع ينظر إلى الدين المسيحى بروح كانطية، ولكنه نقد هذه الأخلاق الكانطية – فيما بعد فى " روح المسيحية ومصيرها" بحجة أنها أخلاق صورية تقوم على فكرة الواجب، ثم انتهى من نقده لهذه الأخلاق بضرورة تجاوز الثنائية الكانطية القائمة على تعارض الفردى مع الكلى.

أما عن الجدل فقد أكد عليه كانط بوصفه عملية ضرورية من عمليات العقل، ولكن كانط– فيما يرى هيجل– لم يحسن استخدام الجدل عند دراسته لنقائض العقل الخالص. فالجدل عنده بمثابة وهم استخدمه للتمييز بين عالم الظاهرة وعالم الأشياء فى ذاتها، والتى رفضها هيجل لأن كانط حصر التناقض فى الذات المفكرة وحدها، وذهب إلى أن العالم يخلو من هذه المتناقضات، وهكذا فشل كانط فى دراسة الطبيعة الحقيقية للمتناقضات، ولم يتجاوز حدود النتيجة السلبية، وهى أن الشئ فى ذاته لا يمكن معرفته، دون أن يدرك ما تعنيه المتناقضات من الناحية الإيجابية الحقيقية. فكل ما يوجد وجوداً فعلياً يتضمن فى جوفه عناصر متناقضة(١١).

– أصبح الديالكتيك عند فشته منهجاً مشروعاً لمعرفة الحقيقة من حيث هى قابلة للمعرفة، ولم يلبث أن استحال من جديد على يد شلنج إلى مجرد مظهر Appearance، وإن كان من شأن هذا المظهر أن يعيننا على تجاوز المعرفة التجريبية والتأمل العقلى الخالص.

فالجدل عند شلنج كان بمثابة المدخل إلى "المعرفة المطلقة"، ولكن شلنج رفض التسليم بقدرة اللغة البشرية على وصف فكرة المطلق أو تجاوز المتناهى من أجل الوصول إلى اللامتناهى.

إذن يأخذ هيجل على هؤلاء الثلاثة– وفى مقدمتهم كانط– أنهم عجزوا عن الاهتداء إلى المنهج الصحيح الذى يلائم طبيعة الفلسفة باعتبارها علماً خالصا. هذا المنهج الذى يحقق التوافق بين الشكل والمضمون.. والمنهج الأوحد الذى يحقق هذا الشرط– فيما يرى هيجل. هو المنهج الجدلى أو الديالكتيكى، لأنه تعبير عن الحركة الباطنية لموضوعه، وهو بالتالى ليس مجرد منهج استنباطى صورى، ولكنه منهج يهتم بالواقع والخبرة والتجربة. ويمكن القول بأن ديناميكية "التصور" عند هيجل إنما هى صدى لديناميكية الواقع. أو أن الفكر الجدلى إنما هو صورة لجدل الأشياء على نحو ما عرضه هيجل سواء فى فلسفة القانون، أو فلسفة التاريخ، أو ظاهريات الروح.

إذن ديالكتيك هيجل ليس مجرد تركيب عقلى صوري، وإنما هو تعبير حى عن صميم صيرورة الواقع وحركته، فهو قانون لتطور الوجود وحركة الفكر فى آن واحد.

وعلى ذلك فإن قيمة المنهج الجدلى تكمن فى فهم هذا العالم، والنفاذ إلى الوحدة الكامنة وراء التعدد.

من هنا لابد أن نقول إنه مهما كان أثر اللاهوت أو الفلسفة أو العصر الذى عاش فيه هيجل، فإننا ينبغى ألا نغفل عبقريته الخلاقة التى استطاعت أن تمتص رحيق هذه المجالات، وتقدمه فى صورة جديدة.

هكذا يمكننا استخلاص أهم سمات الجدل الهيجلى[١٢]، حيث نجد أن التناقض أو السلب هو الأساس فى هذا الجدل، وأن الحركة أو الصيرورة تتحقق عن طريق صراع بين المتناقضات، فكل فكرة تناقضها فكرة جديدة، ثم المركب منهما، وهكذا يحدث التطور.

إضافة إلى أن مقولات الجدل عند هيجل ليست معزولة أو منفصلة عن بعضها، بل كل مقولة تُستنبط من المقولة السابقة، وكل مقولة تحمل نقيضها.

إذن السلب، والتناقض، وارتباط الفكر بالواقع مفاتيح لا غنى عنها لفهم الجدل الهيجلى.

الخلاصة أن هناك علاقة تضايف بين الأشياء، تحديداً تبادلياً فى داخل "الكل". لذلك لا يكفى أن نقول إن هناك تقابلاً بين الإيجابى والسلبى ، وإنما ينبغى أن نضيف أن كلا منهما يبدو فى الآخر. ومعنى ذلك أنه من المستحيل أن نتصور أى ظاهرة من ظواهر الحياة باعتبارها منعزلة أو مستقلة عن غيرها من الظواهر، بل على أنها مرتبطة بذلك "الكل" أو المجموع الذى تنتسب إليه. المتناهى لا وجود له إلا بالقياس إلى اللامتناهى. الفكرة المجردة لا وجود لها إلا بالقياس إلى الفكرة الكلية أو العينية المتحققة فى الواقع.

"فالكل" الذى يتحدث عنه هيجل هو المركب الذى يتألف من الإيجاب والسلب معاً.

وعلى ذلك فكل معرفة لابد أن تمر بثلاث مراحل:

١) مرحلة المباشر أو الكلى المجرد (الفكرة أو الدعوى أو القضية).

٢) مرحلة نفى أو سلب ذلك الكلى المجرد (نقيض الدعوى).

٣) مرحلة الكلى العينى (المركب منهما أو النتيجة) التى تستبقى وتحتفظ فى ذاتها بمرحلة النفى أو السلب، مع تجاوز ذلك السلب إلى وحدة أعلى (وهو ما يسمى بنفى النفى).

لذلك فإن فكرة السلب لها أهمية كبرى فى كل فلسفة هيجل (أقصى درجات الظلم عدل– السعادة الزائدة تعبر عن نفسها من خلال الدموع ، الألم العميق قد ينقلب إلى ابتسامة أو ضحكة... وهكذا كل ما يحيط بنا من ظواهر يؤكد وجود التناقض .... فالجدل قانون عام يصدق على كل ما فى الطبيعة وعالم الروح.

يقول هيجل: "إن التناقض هو مبدأ كل حركة وكل حياة، وكل تأثير فعال فى عالم الواقع. وإذا كان الكون يمثل كلا موحداً تجمع بين ظواهره المختلفة علاقات متبادلة، فإن مهمة الفلسفة هى العمل على اكتشاف تلك العلاقات الضرورية، والانتباه إلى الوحدة التى تجمع بين كل الظواهر المتناقضة.

الرابطة التى تجمع بين الجزئى والكلى، الممكن والضرورى، المتناهى واللامتناهى.. (وحدة الأضداد) – بتعبير هيراقليطس – وكما قال هيجل[١٣].

الجدل كتطبيق:

يطبق هيجل هذا المنهج الجدلى على شتى ظواهر الطبيعة، والتاريخ، والفلسفة، والحضارة، والفن والدين. وفى كل هذا يتأسس المنهج على شقين: السلب، الصراع والتناقض والانقسام، ثم الاتفاق والتآلف والاتحاد.. حاول هيجل عن طريق هذا المنهج أن يربط عالم الطبيعة بعالم الحياة، وعالم الحياة بعالم الروح، وعالم الروح بالله نفسه.

جدل التاريخ:

الجدل – كما ذكرنا سابقاً – هو أهم ما يميز نسق هيجل الفلسفى من بدايته حتى نهايته، ليشمل الفلسفة والطبيعة، التاريخ والدين ..... وفلسفة هيجل فى التأمل المطلق، والمصالحة بين الفكر والواقع تمثل اكتمال الميتافيزيقا الغربية[١٤].

"العقل يحكم التاريخ" تلخص فلسفة هيجل ... فالجدل عنده تعبير عن الفكرة ونقيضها على نحو يدفعها إلى التطور والرقى حتى نصل إلى الفكرة المطلقة، وهى العقل الكلى الذى يحكم التاريخ.

فالتاريخ عند هيجل بهذا المعنى تاريخ جدلى يسعى للرقى بالوعى، والوصول إلى الحرية.

"العقل يحكم التاريخ" يعنى أن العالم لا يسير بمقتضى الصدفة، وإنما يخضع لمبدأ منظم وتدبير إلهى محكم ... فتاريخ العالم هو مسار تكافح فيه الروح كى يصل إلى وعيه بذاته، ومن ثم فهو ليس إلا تقدم الوعى بالحرية، وكل مرحلة تمثل درجة معينة من درجات الحرية.

ما التاريخ؟ ولماذا يُكتب التاريخ؟ وما الفائدة من إحياء التاريخ؟ وما أنواع التاريخ؟ وإلى أى منها يقترب هيجل؟[١٥]

من الخطأ أن نظن أن التاريخ عند هيجل هو مجرد سرد وتسجيل للأحداث البارزة فى حياة القادة والرؤساء من ناحية، والشعوب من ناحية أخرى، فمثل هذا التاريخ الذى تتناوله الكتب وعلماء التاريخ لا يمثل فى نظره الأبعاد الحقيقية للتاريخ الإنسانى. وينظر هيجل فى أعمال التاريخ ليكشف عن جذوره الحقيقية فى عالم الإنسان، والذى يتحرك فى التاريخ هوالإنسان بكل سماته الحضارية التى تشمل الثقافة، والأخلاق، والقانون، والدين، والفن.

ومن المؤكد – فيما يرى هيجل– أن التاريخ يبدأ مع الحضارة، ولذلك فالعصور السابقة على الحضارة هى ما يطلق عليها عصور ما قبل التاريخ. فكلمة التاريخ عند هيجل تشير إلى تاريخ الحضارة الإنسانية بكل مقوماتها، وبهذا المعنى يمكن أن يكون التاريخ هو التاريخ الكلى للشعوب.

والتاريخ عند هيجل معناه ارتباط الذاتى بالموضوعى، وهو واقعة وليس خبراً أو رواية.

ويميز هيجل بين ثلاثة مناهج فى كتابه التاريخ:

١- **التاريخ الأصلى:** وهو جمع المعلومات والحقائق، ويجب أن يكون مقدمة لكل كتابة تاريخ.

٢- **التاريخ التأملى:** وهو الذى ينسق هذه المعلومات طبقاً لفروض علمية يضعها المؤرخ من أجل ربط الحوادث التاريخية بعضها ببعض.

٣- **التاريخ الفلسفى أو فلسفة التاريخ،** وهو التاريخ الكلى للشعوب كلها، ويقدم لنا نظرة موحدة وشاملة لتاريخ الحضارة الإنسانية.

وعلم التاريخ لا يمكن أن يتوقف عند حد التاريخ الأصلى، وملاحظة الأحداث التاريخية. وهذه المراحل أو المناهج الثلاثة ينظر إليها بوصفها ثلاث مراحل لمنهج واحد.

وإذا كان التاريخ الأصلى هو وصف للأحداث التى يشاهدها المؤرخ ويشهد عليها، فهو تاريخ للحاضر الحى، فإن التاريخ التأملى يتجاوز الحاضر الحى. فالمؤرخ هنا لا يعيش الأحداث التى يرويها، وإنما يؤرخ لعصر آخر، ووقائع لم يعشها. يرى هيجل أن التاريخ لا يعيد نفسه، أو يكرر أحداثه على نحو ما تتكرر ظواهر الطبيعة.

ومن الخطأ أن نلجأ إلى التاريخ ليساعدنا فى حل مشكلات الحاضر، ذلك أن الشعوب أو الدول لا يمكن أن تتعلم من التاريخ، أو أن تستفيد من دروس الماضى، لأن التاريخ لا يعيد نفسه. "كل ما يمكن استخلاصه من التاريخ هو مجموعة من المواعظ والدروس

والمبادئ الأخلاقية... لأن لكل عصر ظروفه الخاصة[١٦]. فهذه المبادئ الأخلاقية والمواعظ التى تستخلص من التاريخ لا تصلح إلا لتربية الأطفال وتعويدهم الفضيلة.

ومعنى ذلك أنه فى صخب الأحداث الحاضرة لا تفيد المواعظ ولا العبر، ولا الذكرى الباهتة للماضى الذى انقضى أمام الحياة المتغيرة فى الحاضر.

التاريخ الفلسفى "العقل يحكم التاريخ":

التاريخ الفلسفى هو محاولة لتبرير حقيقة التاريخ الكلى. ولا يمكن التخلى عن دور العقل فى تفسير وتبرير التاريخ. إن العقل هو ما يميزالإنسان عن الحيوان .. وكما يقول هيجل: "الفكر يملأ إحساساتنا وعلمنا ومعرفتنا وغرائزنا وإرادتنا، بوصفنا بشراً.

والمشكلة الأساسية التى تواجه المفكر الذى يريد فلسفة التاريخ هى مشكلة منهج الفكر ذاته الذى يجب أن يخضع للواقع من ناحية، ويفرض ذاته على هذا الواقع التاريخي. فالفكر يجب أن يسترشد بالواقع التاريخى، ولكنه يجب أن يحيل هذا الواقع إلى فكرة. والعقل الإنسانى هو وحده القادر على ذلك .. إذن العقل يحكم التاريخ.

إن الفكرة الوحيدة التى تمدنا بها الفلسفة هى تلك الفكرة البسيطة عن العقل، وهى أن العقل يحكم العالم، وبالتالى فالتاريخ الكلى هو تاريخ عقلى.

والعقل الذى يعنيه هيجل هو الروح، والروح هى الواقع الحى[١٧]. سير التاريخ – فيما يرى هيجل– كان سيراً عقلياً وضرورياً للروح الكلى الذى يحيا فى حياة الكون كله.

ودراسة التاريخ دراسة عقلية يجب أن تبدأ من الواقع التجريبى، ويعترف هيجل بسيادة العقل على العالم فى الماضى والحاضر..

وقديماً قال انكساجوراس: العقل يحكم العالم (أو النوس)، وهناك من يقول إن العناية الإلهية تحكم العالم (كما جاء عند ليبنتز)، وهنا يتدخل الإيمان الدينى فى تفسير التاريخ.

ولا يجد هيجل تناقضاً بين التفسير الدينى، العقلى للتاريخ ولكن يجب أن يكمل التفسير الثانى التفسير الأول.

إن العقل الكلى يتمثل فى الروح القومى للشعوب، والمقولة أو الفكرة العامة التى يخضع لها التاريخ الكلى هى مقولة التحول Transformation، بالنسبة للأفراد والشعوب التى تظهر وتختفى، ورؤية الآثار والأطلال تجعلنا ندرك ونفهم الجانب السلبى من هذا التحول.

ذلك أن الاندثار والموت هو بداية لحياة جديدة.. ولقد أدرك الشرقيون عظمة هذه الفكرة.

فالشعوب مثل الأفراد تحيا، وتنمو، وتشيخ، وتموت، وما يعجل بشيخوختها وموتها الاستكانة والخضوع للعادة.

إن العقل الكلى الذى يسيطر على التاريخ يظل كما هو برغم أحداث الزمان، وانحلال الدول واندثارها. وهو يبقى كما يبقى النوع الإنسانى فى الوجود رغم فناء الأفراد والجماعات.

إن العقل الكلى روح. والروح هو العنصر الأساسى فى التصور الفلسفى للتاريخ. ونهاية شعب من الشعوب هى فى الوقت نفسه بداية حياة جديدة. إشراقة لمبدأ جديد.

لا شئ يضيع فى الماضى، لأن الفكرة حاضرة على الدوام، والروح خالد لا يسرى عليه العدم ... تلك هى علاقة الروح القومى بالروح الكلى.. روح الشعب بروح الإنسانية كلها.

جدل الروح[١٨]:

إن التاريخ عند هيجل هو عرض للروح، وما هية الروح الحرية، ومن ثم كان مسار التاريخ هو تقدم الوعى بالحرية.

والحرية لا تكون حرية إلا وهى معانقة للواقع، لتتجاوز الواقع إلى حريتها الحقة.

إن وسيلة هيجل الأساسية هى اعتناق المنهج الجدلى حتى يتحرر الفرد من ربقة الحس، وحتى يتحرر المجتمع من ربقة الواقع الذى تفرضه الظروف، ولا يتمشى مع اضطراد حركة التاريخ.

وعلى ذلك فالجدل الهيجلى ليس مجموعة من القواعد الجامدة عن وحدة الأضداد أو صراعها وتداخلها، بل إنه جدل الحرية، جدل الخلق والإبداع، الجدل الذى يخلق بهالإنسان ذاته والعالم.

والتاريخ عند هيجل تاريخ غائى، والغائية هى الجانب الموضوعى الذى يمثل الضرورة، ولكن الضرورة لا تعمل وحدها، بل من خلال الجانب الذاتى الحر للأفراد. ولذلك فالتاريخ يحقق ارتباطاً وثيقاً بين الضرورة والحرية، بين الذاتى والموضوعى، والدافع لهذه الحركة الجدلية هو التناقض الموجود بين الواقع الخارجى، وما تريد الروح أن تحققه.

وعلى ذلك فإن الفلسفة الهيجلية التى كانت تمثل قمة المثالية الألمانية، كانت فى الوقت نفسه نهاية هذه المثالية، وظهرت واقعية هيجل أكثر نفعاً من مثاليته، فالواقع الذى يتميز ويتطور لا يمكن أن تغيره إلا قوى وإرادة الإنسان[١٩].

ويمكن القول بأن هيجل استطاع أن يقدم فلسفة حقيقية للتاريخ باعتبار أن التاريخ هو تجلٍ للمطلق.

وتاريخ العالم إنما هو مسار تكافح فيه الروح كى تصل إلى وعى بذاتها كى تكون حرة.

ومثالية هيجل– كما يقول جارودى– تفترق عن مثالية فشته وغيرها من المثاليات التأملية، من حيث إن هيجل لا يفرض فكرة على التاريخ، وإنما يصور العلاقة الجدلية بين المثالى والواقعى، كما يلاحظها فى التاريخ، وذلك فى صيرورة مستمرة.

لذلك فإن فلسفة التاريخ عند هيجل لا تقف عند حد الماضى البعيد وحاضره وعصره، ولكنها فلسفة للإنسان فى كل عصر فى حقيقته الزمنية والتاريخية.

والحضارة هى القاعدة التى ينطلق فيها التاريخ، ولذلك لابد من أن نصنع من حياتنا تاريخاً، ومن تاريخنا حياة... إننا مثل هيجل ندعو إلى أن تكون الثقافة فى عصرنا، وفى كل عصر، الوجه المشرق للحضارة الإنسانية.

فالتاريخ تسطره إرادة الإنسان، ومهمة الفلسفة إدراك لتاريخ الحضارة الإنسانية.

وهكذا تتواصل الفلسفة والتاريخ والعقل والجدل لتأسيس الإنسان[٢٠].

جدل الدين:

الدين ظاهرة صاحبتالإنسان منذ نشأته على ظهر الأرض وفي جميع العصور، ومنذ فجر التاريخ تَميّزالإنسان بالتدين... وينظر هيجل إلى الدين بوصفه من أهم مقومات الحضارة، ويؤكد أنالإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين.

يقدم هيجل – في مقدمة كتابه " موسوعة العلوم الفلسفية " للفرق بين المعرفة الفلسفية والدينية ، حيث يرى أن الموضوع واحد في كليهما.

" الحق أن موضوعات الفلسفة هي نفسها – بصفه عامة – موضوعات الدين، الموضوع واحد في كليهما هو الحقيقة، بذلك المعني السامي الذي يكون فيه الله ، والله وحده هو الحقيقة، ولكن الاختلاف بينهما واضح كذلك. الدين ضرب من الوعي تخاطب فيه

الحقيقة كل الناس على اختلاف درجة ثقافتهم ، أما الوعي الفلسفي للحقيقة فهو ضرب خاص من هذا الوعي يشمل جهداً لا يقوم به كل الناس، بل قلة منهم فحسب، لكن المضمون واحد في الحالتين.[٢٠] فإذا كان المضمون واحداً في الفلسفة والدين، فإن طريقة معرفته مختلفة. المعرفة الدينية تكتفي بالشعور أو الوجدان، وتقف عند حدود الفكر المتناهية. أما المعرفة الفلسفية فهي عقلية خالصة، وهي تدرك اللا متناهي وهو يشمل في جوفه المتناهي في وقت واحد.[٢١] وبهذا المعني فالدين عند هيجل " يستبق الفلسفة "، وما الفلسفة إلا دين واع ".[٢٢]

لاشك أن هيجل تأثر بشكل كبير بالدراسات اللاهوتية في وقت مبكر فقد كان الدين موضع اهتمامه طوال حياته. ولكن الدين بالنسبة لهيجل ليس كالدين بالنسبة للتنوير، أي تأليها مجرداً، ولا كالدين بالنسبة لكانط وفشته أي امتدادا للحياة الأخلاقية، لأن الدين عنده يختلف عن الأخلاق، من حيث هو دين للشعب. وكان هيجل يعد نفسه في مطلع حياته ليصبح قسيساً، ولهذا نراه في عهد الشباب يلتمس في الدين حلاً للمشكلة التي شغلته منذ حداثة سنه، وهي مشكله التوفيق بين الأضداد. فقد رأى أن الدين وحده هو القادر على كشف الوحدة الكامنة وراء هذه الأضداد. وقد كتب هيجل مجموعة من المقالات تحت عنوان" الكتابات اللاهوتية المبكرة".[٢٣] فلنقف قليلاً عند هذه المرحلة من حياة هيجل وأثر الفكر الديني في فلسفته الجدلية.

التحق هيجل بالمعهد الديني عام ١٧٨٨ في " توبنجن" وأصبح قسيساً، إضافة إلى أنه ينتمي إلى أسرة من القساوسة. وعاصر في هذه الفترة حركة التنوير التي كان كانط آخر ممثل لها، وحركة الرومانسية الألمانية. لذلك فقد تأثر بكانط في كتابه " الدين في حدود العقل"، حياة المسيح بلا خوارق أو معجزات، واستبعد حياته اللاهوتية، مكتفياً بحياته الناسوتية، وذلك في بحث عام ١٧٩٥ بعنوان " وضعية الديانة المسيحية".

وقد كتب هيجل دراسات عديدة تفيض بحب اليونان والإشادة بديانتهم، وقد رأى أن هذه الديانة هي ديانة أناس أحرار، لا يعرفون وطأه الخطيئة. وهنا قارن هيجل بين ديانة اليونان التفاؤلية المحبة للحياة، وديانة المسيحية التي تجعلالإنسان لا ينظر إلا للسماء، وأنه غريب على هذه الأرض. وهيجل هنا يقيم ضرباً من التعارض بين " الروح المسيحية والروح اليونانية "، فيضع ديانة الخطيئة والفداء والعذاب الروحي في مقابل ديانة الحرية والإيمان بالحياة والسعادة.، كما أنه ضد النزعة العقلية الجامدة في مجال الدين، التي جاءت عند فلاسفة التنوير. الدين عنده لا يقوم على العقل وحده، كما هو الحال عند فلاسفة التنوير.

الدين عنده لايقوم على العقل وحده، أو على الحساسية والعاطفة وحدها، ولكن على العقل والإرادة معاً. كذلك مناهضة النظرة الفردية التي لا ترى في الدين إلا مجرد مسألة شخصية بحتة لاتهم سوى الفرد. أساس الدين هو الصلة بين المتناهي واللامتناهي، بين الأرض والسماء، الدين لابد أن يمتد ليشمل الحياة بأسرها، ويرتبط بروح المجتمع أو الشعب، ويدخل في صميم الصيرورة التاريخية. إذن خلاصة هذه الفترة هي التخلي عن الدين الطبيعي، والاهتمام بدراسة العنصر التاريخي للدين، والنظر إليه بوصفة ظاهرة اجتماعية، وأنه لا معنى للمتناهي إلا في علاقته باللامتناهي. " كل ما في الوجود ماهو إلا مظاهر أو تجليات لحقيقة واحدة هي المطلق " أو الكل"، ومحو التعارض بين الذات والموضوع، ومنها إلى الوحدة الكلية .. وهذا يقودنا إلى تصور هيجل للدين كما عرضه في " ظاهريات الروح" بأنه تجل للمطلق في إطار الفكر، أو هو الحضور الحي اللامتناهي في المتناهي. ومعني هذا أن الدين مرحلة ضرورية في التطور الجدلي للروح.[٢٤]

يعتقد هيجل أن هناك جدلاً وتطورا للدين، حدث في خلال التاريخ، وأن الصور المختلفة التي اتخذها الدين، في خلال تاريخه، إنما هي تعبر عن تدرج الروح في الكشف عن ذاته ولذاته. ولا غرابة عند هيجل أن يكون الروح واحداً، وأن يتخذ الدين صوراً وأشكالاً متنوعة. تلك هي طبيعة الجدل أو الصيرورة التي تجيز التناقض، وكل دين – فيما يرى هيجل – يتضمن بالضرورة ثلاث لحظات تقابل على التوالي لحظات الفكر الثلاث:

١) لحظة الكلية: وهذه اللحظة هي الله أو العقل الكلي.

٢) لحظة الجزئية: وهي لحظة انفصال العقل الكلي عن العقل الجزئي. فالعقل البشري يدرك الله بوصفه موضوعاً خاصاً به، كما يدرك كذلك انفصاله واغترابه عن الله، وهذا الاغتراب والابتعاد عن الله يظهر على أنه خطيئة وبؤس.

٣) لحظة الفردية : وتعبر هذه اللحظة عن عودة الجزئي إلى الكلي، وهي تعني أيضاً أن العقل البشري يسعى إلى إلغاء بعده وانفصاله عن الله، ويكافح كي يربط نفسه بالله، أو كي يتحد معه أو يتصالح معه . ويتمثل هذا في العبادة التي تعد العامل الأساسي في أي دين.[٢٥] ومعني هذا أن الفكرة الهامة التي يعبر عنها الدين هي وحدة الله والإنسان، أي تلك التي تعني عودة العقل المتناهي المنعزل إلى الاتحاد بالله في هوية واحدة، وهذا المضمون الديني هو مضمون الروح المطلق.

مراحل تطور الدين (تجلي المطلق):

- يميز هيجل بين ثلاث مراحل في تطور الدين تطوراً جدلياً: دين الطبيعة، ودين الفن، والدين المُنَزل.

١- مرحلة الديانة الطبيعية[٢٥]: يرى " هيجل" أن تعبير الديانة الطبيعية يدل على جميع الديانات التي لم تعترف بالروح على أنه الكائن الأسمى أو المطلق، وهنا يؤله الروح الموضوعات الطبيعية، ويؤله النور، أو النباتات أو الحيوانات، وتتسم هذه المرحلة بالطابع الرمزي.

٢- مرحلة الديانة الفردية الروحية، وترتفع هذه المرحلة عن كل تجسيد حسي إلى فكرة الإله الشخصي، وهذه المرحلة تسمى "دين الفن" أو "الدين الجمالي"، فإذا كان الدين الطبيعي يعبر عن دين الشرق القديم: مصر، والهند، وفارس، فإن الدين الجمالي هو في نظر هيجل دين الإغريق، حيث يدرك الروح ذاته في العمل الفني.

٣- مرحلة الديانة المطلقة (الدين المُنّزل): هذه هي المرحلة الثالثة في جدل الدين، وهي في نظر هيجل تضع نهاية للعالم القديم، وفيها إرهاصات تاريخية بظهور الديانة المسيحية، التي يتم فيها علم الروح بذاته بوصفه روحاً. يقول هيجل: " إن المطلق يظهر في الديانات الشرقية، كجوهر يفقد الوعي بذاته، أماالإنسان فهو يظهر كوجود عرضي في هذا العالم. ويكون الله هو الموجود في ذاته المجرد. ولكن هذا النحو من الوجود هو ضرب من السلبية المجردة. حتى ظهر المسيح على الأرض، بوصفه الإله الحقيقي، والإنسان الحقيقي، وفي ذاته، تتساوى الطبيعة الإلهية مع الطبيعية الإنسانية.

وهنا يعترف هيجل أن هذه المرحلة، أو هذه الديانة هي الوحيدة التي تتفق تماماً مع فكرة الدين، وفيها يتحقق أيضاً الاتفاق بين الله والإنسان تحققاً كاملاً. ومن الواضح أن هيجل يفسر شخصية المسيح بوصفه الوحدة الكاملة بين الألوهية والإنسانية، وظهور المسيح، هو لحظة إيجابية في تاريخ الإنسانية.[٢٦]

خاتمة وتقييم:

حاولنا في هذا البحث أن نمضي مباشرة إلى أساس فلسفة هيجل ولُبها،والبؤرة التي يشع منها الضوء على منهجه الفلسفي بأكمله من بدايته حتى نهايته ألا وهي "الجدل"، ولكن الجدل عنده رغم أنه استوعب كل الفلسفات السابقة عليه، إلا أنه اختلف عنها ، حيث جاء الجدل الهيجلي جدلاً للوجود والفكر معًا، وإدراك الوحدة في التناقض.

يتميز الجدل عند هيجل عن جدل السابقين من اليونان أو الفكر الحديث، فليس المنطق علمًا صوريًا، بل هو علم قوانين تطوير جميع الأشياء المادية، والطبيعية، والروحية. المنطق الصوري القديم – كما تصوره أرسطو – هو منطق سكوني (منطق الهوية) ، ولكن الواقع ليس ساكنًا ولكنه متطور...

جوهر الجدل عند هيجل يتجلى في أن الفكرة تفضي إلى نقيضها أو نفيها، ولكن هذا النفي قوة دافقة ... لذلك فالجدل ليس حياة الفكر، بل هو يمثل حياة الطبيعة، وحياة المادة في كل درجات تعقدها.

الفكر جدلي لأن الواقع جدلي، الواقع جدلي وله أسبقية وجودية، والفكر جدلي غير أن له أسبقية منطقية على الوجود ... ومن هنا توجد منطقة للحرية بين جدل الفكر وجدل الواقع.

طبَّق هيجل هذا المنهج الجدلي على كل فروع الفلسفة، والتاريخ، ومقولة "**العقل يحكم التاريخ**" تلخص هذا الفكر ... والتاريخ عند هيجل تاريخ جدلي يسعى للرقي بالوعي والوصول إلى الحرية ، وحتى يتحرر الفرد من ربقة الحس، ويتحرر المجتمع من ربقة الواقع الذي تفرضه الظروف ، ولا يتماشى – يتوافق – مع اضطراد حركة التاريخ.

بالجدل تكمن القدرة البشرية على فهم الواقع والتحكم في المصير ، وتوجيه حركة التاريخ. والعقل عند هيجل ليس عقلاً مفارقًا، بل هو عقل مباطن في الوجود التاريخي، ويكتمل به.

التاريخ الكلي عند هيجل إذن هو تمثل الروح في محاولة تحقيق معرفته بذاته. والمطلق عند هيجل ليس موجودًا معينًا قد وجد مرة واحدة، بل هو عملية ديالكتيكية، أو تحقق تدريجي للذات، وبذلك يُدخل هيجل في فهمه للمطلق كل معاني السلب، والتناقض، والصراع فيجعل منه صيرورة حية، وتعبيرًا حيًا عن صيرورة الواقع وحركته، هذا التاريخ الكلي تسطره حريةالإنسان وإرادته ... الوعي المطلق إذن هو الهدف النهائي للعملية التاريخية.

يتبين لنا هنا أن كل مرحلة من مراحل التاريخ البشري (تاريخ العالم المتناهي) هي بطبيعتها مرحلة ناقصة، وعابرة، وعامرة بالتناقض، ومن ثم الاهتمام بالكشف عن العلاقة الجدلية القائمة بينها وبين الواقع ... ومعرفة التاريخ ليست معرفة بالماضي والحاضر، وإنما هي معرفة موجهة نحو المستقبل.

قرر هيجل أن التاريخ البشري بأسره إنما هو تاريخ التفاعل الذي يتم بين السيادة والعبودية، وكأن الجدل التاريخي بأسره ليس إلا مجرد جدل السيد والعبد، وعلىالإنسان أن يستعين بالعقل كي يتحرر من الحيوانية إلى الإنسانية.

تصور هيجل أن المجتمع الشرقي مجتمع ذكوري لا مكان فيه للمرأة ، وأن الوعي الشرقي ناقص ... لماذا؟ لأنه يميل إلى الخضوع، والخنوع، ويفتقر إلى الحرية ... وأن مشاعر الدونية، والعجز، واللاجدوى مشاعر صنعتها أنظمة الحكم في بلادنا حينما حرمتها من الحرية، والتفكير، والوعي الذاتي. والمجتمع الشرقي أيضًا – فيما يرى هيجل – لم يعرف من الحرية إلا حرية الحاكم ... وترتب على ذلك أن أصبحت الفضائل زائفة، لأنها من الخارج ، والتدين زائف، لأنه تدين خارجي شكلي يصدر عن الخوف دون تعمقالإنسان مع وعيه بذاته...

أما عن الدين فقد اعتبره هيجل أهم مقومات الحضارة ، وهو وعي الروح بذاته في التاريخ ، والصور المختلفة التي اتخذها الدين إنما هي تعبير عن تدرج الروح في الكشف عن ذاته ولذاته.

إن نظرية هيجل في المطلق – كما أوضحها في "فينومينولوجيا الروح" هي نظرية تطورية لا زمانية في آن واحد. ولكن تصور هيجل للدين على أنه الصلة بين الروح اللانهائي – الله – والروح النهائي "الإنسان" لم تفسح مجالاً للعلو الإلهي، وهذا باعتراف هيجل، حيث إن المعرفة المطلقة عنده هي معرفة إنسانية يتجلى فيها "المطلق" على شكل حركة لامتناهية يتم خلالها ظهور المتناقضات واختفاؤها، فليس ثمة موجود "متعال" في رأي هيجل، وليس ثمة روح تسكن في عالم آخر يعلو على عالمنا الحاضر، بل لابد من الاهتداء إلى "الروح اللامتناهي" من خلال فهمنا لهذا العالم.

وأياً ما كان الأمر حول نظرة هيجل للدين، فإن هذه النظرة اللاهوتية عن الجدل الإلهي إنما هي قائمة على تصور رمزي للألوهية لا عن تصور عقلي خالص، أو أنه كان تحت تأثير التصور المسيحي للدين الذي يجمع بين الله والإنسان في وحدة لامتناهية.

ومن الواضح أن هيجل كان متأثرًا بالمسيحية، ولا عجب في ذلك فمن حقه بوصفه فيلسوفًا مسيحياً أن يدافع عن العناصر الإيجابية التي يراها في المسيحية ... ولكن لا يجب أن تؤخذ آراء هيجل كقضية مسلمة، وننقل آراءه نقلاً دون تفرقة أو تمييز بين الأوضاع التي كان يعيش فيها، والأوضاع التي نحن عليها الآن، ونطبق قوله: "إن كلامنا ابن عصره، وربيب زمانه، والفلسفة هي عصرها مُلخَصًا في الفكر" (أصول فلسفة الحق).

إن العلو الإلهي الذي يدعو الإسلام إليه، ليس محواً أو سحقًا لشخصيةالإنسان كما زعم هيجل.

نعود إلى نقطة البداية لنرى أن الجدل يتغلغل في فكر هيجل، استمد عناصره من السابقين، وتأثر به كثيرون في الفكر المعاصر ...

كرَّس هيجل حياته كلها كي يعلم البشرية أن الفكر أساس لعملية تحرر الإنسان، وأنه المقدمة للتغيير ... وهذا ما نقره الآن، وأيضًا ما قال به ماركس رغم اختلاف نظرة كل منهما للجدل: "إن سلاح النقد لا يقدر بالطبع أن يحل محل نقد السلاح، فالقوة المادية يجب أن تطيح بها قوة مادية، ولكن النظرية أيضًا تصبح قوة مادية بمجرد أن تخلب الجماهير".

إن هيجل لم يكن مادياً في نظرته للعالم فحسب، بل كان مادياً في نظرته للواقع الاجتماعي أيضًا. علَّق لينين فقال: "المادية التاريخية كانت بذورًا جنينية عند هيجل". وكان ماركس يقول دائمًا إن الإطار المثالي الذي غلَّف الجدل الهيجلي لم يمنع هيجل مطلقًا من أن يكون أول من عرض الصورة العامة للجدل بطريقة واعية وشاملة.

لقد حاول هيجل أن يحل كل مشكلة يطرحها في حدود دفع الفكر لا في إطار عصره فحسب، بل لكل العصور بإدراكه أن التناقض في الوحدة هو حركة كل تطور في العالم والفكر على السواء.

كانت كتابات هيجل دفعًا إلى الأمام لا للفكر الألماني فحسب، بل للفكر الإنساني عامةً، لأن جدله قائم على أن العالم في حالة "عملية" أو "صيرورة" ، كما أن المقولة الأساسية للعالم عنده هي التاريخ، وأن المحرك الحقيقي للتغيير هو العقل المرتبط بحركة التاريخ ... وكل هذا من أجل أن تتحقق الحرية الحقة، الحرية التي تأتلف مع العقل الذي لا يتحقق إلا مع الحرية.

هوامش البحث

١) Sidney Hook: Dialectic in Society and History. P. 701
راجع هنا: إمام عبد الفتاح : تجربتي مع هيجل ص ١٢،٤٦،٥٧ دار الثقافة ١٩٨١.

(٢) راجع هنا : أمام عبد الفتاح: المنهج الجدلي عند هيجل، مقدمة ص ١٥،١٩، ص٢٧، هيجل: أصول فلسفة الحق : ترجمة أمام عبد الفتاح. ص ٣٤.

(٣) راجع هنا : كتاب زكريا إبراهيم : هيجل أو المثالية المطلقة مكتبة مصر ١٩٧٠ الفصل الثالث من الباب الأول: ص ١٤٠،١٧٢، إمام عبد الفتاح : المنهج الجدلي عند هيجل. الفصل الثاني من الباب الأول ص ٣٩،٩٦،٣٧.

٤) G.W.F.Hegel: the History of philosophy. Vol. 1. P. 37.
، ولترستيس : فلسفة هيجل ص٢٥. مكتبة مدبولي – القاهرة.

٥) هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ص ٣٦،١٤٤ يروي أن جماعة من العميان مروا في طريقهم بفيل، وحاولوا التعرف عليه ، فتحسس كل واحد منهم جانباً منه. ثم وصف كل واحد منهم الجانب الذي لمسه معتمداً على دقة حاسة اللمس لديه، وكان وصفه هذا صادقاً دقيقاً... ولكنه أخطا حين أصر على أن ما لمسه فقط هو الفيل كله.. وتلك هي الحال نفسها مع المذاهب الفلسفية التي يلمس كل مذهب منها جانباً من جوانب الحقيقة، ويجعله محور فلسفته. ولكنه يخطئ حين يظن أن المبدأ يعبر عن الحقيقة بأسرها.

٦) هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية ص ٧١، المنهج الجدلي عند هيجل: ص ١٤٩، ١٤٨، راجع هنا: Hegel: History of ph. Vol 1p 18
المنهج الجدلي عند هيجل : الفكر اليوناني: زينون، هيراقليطس، جورجياس، أفلاطون، أرسطو ص٥٠:٧٨.

٧) أنظر كتابنا : الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد: الفصل الرابع ص ٩١:٩٣، ، زكريا إبراهيم : هيجل أو المثالية المطلقة: ص ١٣٩.

٨) "ميور" : مدخل هيجل ص١١٧، المنهج الجدلي ص ٧٠

٩) Hegel: the History of ph. Vol2. P54، المنهج الجدلي ص ٦٨:٧٤:٧٨.

١٠) راجع هنا: مدى تأثير كانط ، وفشته، وشلنج في الجدل الهيجلي من كتاب: زكريا إبراهيم: هيجل ص ٩٨:١٣٧:١٤١ ، إمام عبد الفتاح : المنهج الجدلي عند هيجل ص ٨٥:٩٠.

١١) راجع هنا: زكريا إبراهيم : هيجل (مرجع سابق) ص ٢٤، ٣٥، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٥، ٣٧٣.

١٢) المرجع ذاته: ص ١٨٧،٤٠٣،٤٥٣.
مرفت عبد الناصر: موسوعة تاريخ الأفكار، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٧، ص ٧

١٣) عبد الغفار مكاوي : لمَ الفلسفة؟ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦، ص ١١٤.

١٤) راجع هنا : فلسفة التاريخ عند هيجل من نازلي إسماعيل حسين : هيجل: الشعب والتاريخ هيجل دار المعارف ١٩٧٥ ص ١١٥:٢٠٠، هيجل : محاضرات في فلسفة التاريخ جـ ١ العقل في التاريخ. ترجمة إمام عبد الفتاح، مراجعة د. فؤاد زكريا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦، ص ٣٠:٥٩.

١٥) إمام عبد الفتاح: تجربتي مع هيجل ص ١٠٠:١٠٦، محاضرات في الفلسفة التاريخ جـ١ ط٣ دار التنوير ١٩٨٣.

١٦) نازلي إسماعيل حسين : الشعب والتاريخ عند هيجل ص ١٨٥: ١٨٤، دروس في فلسفة التاريخ ص ٧٢

١٧) راجع هنا : إمام عبد الفتاح محاضرات في فلسفة التاريخ، جـ٢ : العالم الشرقي، مقدمة ص ٧:٥٢، نازلي إسماعيل : هيجل الشعب والتاريخ(مرجع سابق) ص ١١٣:١٢٧.

١٨) نازلي إسماعيل (مرجع سابق) ص ١٨٨،١٩١،١٩٦،٢١٣،٢٦٦،١١٩. راجع : رحلة الروح . مراحل تطور الروح في العالم الشرقي(الصين – الهند– فارس – مصر) في طريقه للحرية، حيث نجد أنها هي نفسها مراحل الجدل الذي يبدأ من الفكرة، ونقيضها، والمركب منهما(الفكرة العينية). من محاضرات في فلسفة التاريخ جـ٢ (العالم الشرقي) ص ٧:٥٢ ، راجع : (الشخصية المصرية وسمات المجتمع الشرقي ناقص لأنه يميل إلى الخضوع والخنوع أكثر من الحرية) ... من كتاب : إمام عبد الفتاح: تجربتي مع هيجل ص ١٢٢، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٤، وأيضا: زكريا إبراهيم: الفصل الخامس من الباب الثاني فينومينولوجيا الروح، الروح الموضوعي ٣٠٣:٤٠٥

٢٠) هيجل : موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة وتقديم د. أمام عبد الفتاح (دار الثقافة للنشر)، ١٩٨٥، ص ٤٥:٤٦ .

٢١) ولتر ستيس: هيجل، المجلد الثاني . فلسفة الروح، دار التنوير بيروت، ١٩٨٢، ص١٧٤.

(٢٢) هنري. د. أيكن : عصر الأيديولوجية. ترجمة فؤاد زكريا، مراجعة عبد الرحمن بدوي مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣ ص ١٠١،١٠٢.

(٢٣) Dickey, L. Laurence: Hegel on Religion and Philosophy: An Essay on the Cambridge to Companion to Hegel edited by, Frederick. C. Cambridge University press 1993.p.301

راجع: زكريا إبراهيم: هيجل، مرجع سابق، ص ٣٣:٩٧ ، إمام عبد الفتاح: المنهج الجدلي عند هيجل، ص ٣٩:٤٠.

(٢٤) روجيه جارودي : فكر هيجل. ترجمة إلياس مرقص . دار الحقيقة، ط٢، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٣٤.

(٢٥) يرفض هيجل التوحيد بين فلسفته، وبين مذهب وحده الوجود أو شمول الألوهية فهذا المذهب الأخير يرى أن أي موضوع فردي مثل هذا الحجر، أو هذه الشجرة، أو هذا الإنسان هو الله ، وذلك يعني أن هذه الأشياء هي بالفعل تتحد مع الله، ولكن الموقف الهيجلي يعارض هذا الرأي، فقد ظل هيجل يؤكد أن الروح المطلق عالٍ على الروح المتناهي، مع اعترافه بأنه لا قيام لأحدهما دون الآخر.

(٢٦) Smith, John E, philosophy of Religion. P 183

ولترستيس(مرجع سابق) ص ٦٦٤: ٦٦٥.

(٢٧) زكريا إبراهيم: هيجل، ص ٤١١ ، ولترستيس: فلسفة هيجل، ص ٦٦٦ ، نازلي إسماعيل: هيجل: الشعب والتاريخ، ص ١٢٥: ١٢٤.

(٢٨) راجع : مراحل تطور الدين، جدل الروح في التاريخ من كتاب زكريا إبراهيم . الفصل السادس من الباب الثاني ص ٤٠٦:٤٦٦، كتاب هيجل: الشعب والتاريخ (مرجع سابق) ص ١٥٢: ١٤٧.